البنية الفنية في رواية "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران (قراءة في الحدث والشخصية)

The Technical Structure of the novel "The Broken Wings"Jubran Khalil Jubran (A Reading in the Events and Characters)

د. محمد بلوافي
المركز الجامعي تمنراست/ الجزائر
belouafimahammed@gmail.com

ملخص البحث

يعد هذا المقال، قراءة في كتاب (رواية الأجنحة المتكسرة)، تهدف الى الكشف عن جماليات الكتابة الروائية عند الروائي جبران خليل جبران، فالكتابة الروائية عنده تستثمر خطابات متعددة، ومختلفة يمتزج فيها، المعرفي، والسردي، والشعري، والحكائي، والسياسي، والإنساني، والأخلاقي، والفني، وتمثل رواية (رواية الاجنحة المتكسرة)، أنموذجاً سردياً واعياً لعملية التحول الكتابي في الرواية العربية أولا , وامتثالاً للشروط الفنية والجمالية والتاريخية والإنسانية ثانياً , مما يحقق تفرداً لهذا النص على أكثر من مستوى.

الكلمات المفتاحية: الرواية، جبران خليل، الأجنحة المتكسرة، قراءة، السرد، الخطاب.

Abstract :

This article, "A Reading in the Events and Characters" , (*The Broken Wings* novel), is aims to reveal the aesthetics of narrative of the novelist (Jubran Khalil Jubran). His narrative then is of a multifaceted process, where the cognitive, the narrative, the poetical, the political, the humanitarian, the moral, and the artistic are blended. The novel (*The Broken Wings*) is a conscious narrative of the transformation process written in the Arabic novel on one hand, and in compliance with the technical, aesthetic, historical and humanitarian requirements, on the other, which would be unique.

Keywords: novel, Jubran Khalil , broken wings, reading, narrative, speech.

مقدمة:

لا يكاد يذكر جبران خليل جبران، إلا وتبع ذكر اسمه بعنوان روايته الرائعة "الأجنحة المتكسرة"، التي تعتبر من الأعمال الروائية الرائدة للمؤلف، والتي استطاعت أن تعالج مواضيع اجتماعية عميقة، فكانت الرواية بذلك تعبيرا صادقاً عن خواطر وأفكار معبرة، وفيها تتجلى قدرته الإبداعية وملكته الأدبية.

هي رواية لم يقتصر فيها جبران على المحكي القوي في السبك، المحكم في العقدة، الجميل في السياق، وإنما أجده قد البسها حلة تكتسي بها الكثير من روحه، وعاطفته، وعقله، وأحاسيسه، وخواطره، وتأملاته، كما تلونت بصور من خيالاته، وبإشراقات من أسلوبه؛ إذ اتخذ جبران خليل جبران، من السرد أداة للتعبير عن نفسه بشكل خاص، وبالإنسانية، في تفاعلها مع الأحداث والناس، وفي موقفها من الحياة والمجتمع السائد، والقصة في مدلولها، حادثة أو مجموعة من الحوادث المترابطة ينتقيها القصاص من الحياة، لذلك لجأ جبران إلى السرد لأنه كان يساعده في التعبير عن النفس، وإبداء رأيه في الناس والأحداث، إذا يتضح أنه يدعو دوما إلى الحرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، كما كان يكافح الاستسلام والتقيد بالعادات الاجتماعية الفاسدة، والانحرافات والخرافات، وانتصار "جبران" لهذه القيم، " وفر للرواية نجاحا كبيراً لدى الأوساط التقدمية والمتحررة، وسخطا عارما لدى المحافظين والإقطاعيين ورجال الدين، من ذوي النزعات التقليدية، فقد هاجم الثائرين عليه ورماهم بالقصور دون هذه الغايات البعيدة والمبادئ العالية، فالمحبة المحدودة تطلب امتلاك المحبوب أما المحبة الغير متناهية فلا تطلب غير ذاتها"[1].

وحاول جبران أن يبلور ذلك كله ويصوره حسب رؤيته ومفهومه الخاص، لذلك نجده من خلال السرد يحاول أن يحلل نفوس الأبطال ونوازعهم الإنسانية ويعبر عنها

كما يفسر دوافعهم، ويكشف لنا أيضا عن الغموض في الحياة، حيث كان يرمي من وراء هذا كله إلى تحسين المجتمع حتى يتخلص من حالة التخلف الذي كان يتخبط فيها، وفي الأخير أضحت القصة مع جبران تجربة ترتدي طابع النفس الفياضة بالانفعالات والتعابير والصور، وبلغت قضايا ما وراء الطبيعة، متخطية بذلك حدود المكان والزمان، فكانت الرواية بذلك في مجملها عبارة عن " تخييل ينطلق من منظور من رؤية، ويحمل منظورًا أو رؤية، فالناس والزمان والمكان في الرواية ليسوا نسخة عما في الواقع الموضوعي، ثمة درجة ما من الانزياح في الرواية بحكم طبيعتها كمتخيل، كفن، كآلية "[2].

تقديم الرواية :

"**الأجنحة المتكسرة** "؛ هي رواية صغيرة الحجم نسبيا، بها عشرة فصول، نشرها "جبران" لأول مرة عام 1912 بنيويورك وأهداها الى (ماري هيسكل)، "التي تحدق إلي الشمس بأجفان جامدة وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة، وتسمع نغمة الروح "الكلي" من وراء ضجيج العميان وصراخهم، إلى M.E.H، أرفع هذا الكتاب"[3]، قدمت في نسيج منظم دقيق تمسح عليه يد الحزن العميق والتشاؤم الأسود بيدها السحرية، فتلونه بألوانها القاتمة وترسم عليه صورة إنسانية رائعة للقلب البشري"[4]. بأسلوب بسيط واضح، مسح عليه جبران مسحة من الخيال الواسع، ما يجعله يرتفع فوق المألوف، فجاءت ألفاظه واقعية وغريبة في الوقت ذاته، معبرة وموحية، لأن جبران ببساطة كان صادقا مع النفس، لا يتكلف، " مولع بالتطويل والتعليق والتكرار فلا يدع الفرص المواتية تفلت من بين يديه، فكثيرا ما ينصب نفسه خطيبا يعظ الناس ويعرض عليهم آراءه فيهم وفي مجتمعهم" [5]، كما أن اللغة المستعملة، كانت غالبا مما يتداوله عامة الناس في أحاديثهم اليومية، مستقاة من أفراح الحياة وأحزانها، ومن كلام العاشق لمحبوبته، ومن تنفسات المظلوم، والمهموم والمذنب، لأن قصته كانت عبارة عن لون من ألوان البوح الشخصي.

تحكي قصة قلبين متحابين، " أرخ فيها "جبران" حبه الأول في بيروت، في صورة صادقة، نمت كما كان يصطدع في نفسه وهو المراهق آنذاك من العواطف المكبوتة والإحساسات الخامدة التي تفجرت بقوة عند أول احتكاك عاطفي"[6].

جاءت أحداث هاته القصة، أو الرواية، في فصل الربيع من شهر نيسان، كما يقول "جبران" في بداية قصته "كنت في بيروت في ربيع تلك السنة المملوءة بالغرائب، وكان نيسان قد أنبتت الأزهار والأعشاب"[7]. فالمكان هو بيروت في بقعة جميلة من شمال لبنان، حيث الأودية المملوءة سحرا وهيبة والجبال المتعالية بالمجد والعظمة نحو العلاء كما وصفها جبران ففي هذا المحيط البعيد عن ضحية الاجتماع يقع منزل "سلمى كرامه" الذي تحيط به حديقة مترامية الأطراف تتعانق في جوانبها الأغصان وتعطر فضاءها رائحة الورد والفل والياسمين"[8]، ففي هذا المكان التقي قلبان متحابان تحول دون اتحادهما التقاليد الاجتماعية والأفكار والعادات وسلطة رجال الدين.

ولربما هذا التوافق في الزمن والمكان، مابين عناصر المحكي، وما عاشه الكاتب حقيقة، إضافة إلى تحديد عناصرها بشكل واضح ودقيق، هو ما يكسبها الكثير من الواقعية، حيث أن جبران خليل جبران كاتب معاصر من بيئة لبنانية ولقد عاش وقائع هذه القصة على أرض الواقع.

تضم أحداث هذه القصة؛ مواقف درامية رومنسية، حيث أحب جبران سلمى كرامة، (التي يرجح أنها هي حلا ظاهر)، ولكن تدخل الإقطاع الزمني، جعل الحبيبة تزف إلى غير الحبيب، فإذا الحب قربان تنحره الشهوات، وتعصف به الأطماع، وإذا الزواج وسيلة مشروعة للاستيلاء غير المشروع على ثروة الزوجية ووالدها .

فقد اغتنم "المطران بولس غالب " فرصة ذهبية لإضافة ثروة جديدة إلى ثروة ابن أخيه، منصور بك غالب، فطلب من فارس كرامي أن يوافق على تزويج ابنته سلمى من ابن أخي المطران، وساعد المطران في تحقيق مرتجاه عاملان :

احدهما خُلق فارس كرامة، وطيبته، وضعف إرادته أمام رياء الناس.

وثانيهما إساءة استعمال السلطة الدينية من قبل المطران في سبيل أغراض زمنية . ومن الواضح أن رجلا يتزوج، طمعا بثروة الزوجة، سوف يعاملها بما لا تطيب به نفسها، وسوف يعتبرها دمية أو تمثالا يضاف إلى التماثيل المنتصبة في أروقة منزله. وبين جدرانه.

ومن الطبيعي أيضا أن يتعذب فارس كرامة لعذاب ابنته، وأن يجد في اقتراب الموت منه راحة لنفسه، وتحررا من هذه العبوديات المحيطة بعالمه من كل جانب، فلا يبقى لأبنته من صديق تلوذ به في الملمات العصيبة، إذا حلكت النفس، واشتد ظلام الوجدان سوى جبران الذي عاش بها ولأجلها .

وما كان هذا الزواج الزائف ليؤتي ثمرة طيبة تربط بالحب روحي الزوجين، كما ربط المطران بالإكليل جسديهما، حتى إذا انقضت خمس سنوات على ذلك الزواج، تحرك الجنين في أحشاء سلمى، ولكن يوم الولادة كان عسيرا، إذ انقلبت فرحة الأرض بالوليد الجديد حزنا مزدوجا في السماء : لقد توفي الطفل، ونوفيت الأم، في لحظات، كأنما صغيرها جاء الدنيا لينقدها من كهف زواجها المظلم، وليطلق روحها مع روحه في سماء الحرية، وتحت ظلال الله .

ويشيع الناس الجسدين الطاهرين البريئين، وسط الدموع والحسرات، وأمام تناقض في موقفين رهيبين : موقف زوج لا يستحي من الله والناس، فلا تتذرف دمعه في مآقيه، وموقف رجل غريب عانق بروحه روح الراحلين، يضطرب أمام عاصفة القدر الذي انتزع منه آخر آماله، وذرذر له بقايا أمانيه، ودفن قلبه في التراب الذي ضم جثمان سلمى وجثمان طفلها الزائر الراحل .

إضافة إلى حكاية "المعبد القديم"، الذي كان جبران يلتقي فيه بحبيبته عند أطراف غابة الصنوبر ببيروت في "حديقة الباشا"، هي أيضا من صنع الخيال، ومن المقتضيات التي استوجبها رسم الظلال الرومانطيقية حول أحداث هذه الرواية.

ومن خلال هذه الخلاصة الوجيزة عن قصة الأجنحة المتكسرة، نستطيع أن نلمس " أشخاص القصة، فنراهم ونسمع حواراتهم على أحداثهم الجزئية وإن كانت هذه الشخصيات من خلقه هو أي غير موجودة يتقاسم معها كل مسرات الحياة وآلامها

وهذا نظرا لقدرة الكاتب على سرد الأحداث بأسلوب قصصي رائع وحسب تصوير لكل ما جرى من وقائع وأحداث"[9].

كما ذكرنا سابقا، أن اتخذ "جبران خليل جبران" قد إتخذ من السرد وسيلة للتعبير عن أفكاره وعواطفه، ومزجها بآرائه الاجتماعية والأخلاقية، محاولا أن يصورها كما يراها هو، لا كما يشاء الواقع. وجعلها محطة لانطلاق خياله الواسع.

وفي الأخير، نستخلص من الرواية التي يبدو من سياقها حكيها وفضائها السردي، أن أحداثها هزت كيان جبران، ووجهت حياته، وسيطرت على أفكاره.

وفي خضم كل ذلك نلمح بعضا من العناصر الفنية التي بني عليها المتن، وقد تجلت جمالية السبك من خلال عتماتها، مما ألزم علينا الوقوف عندها، بغية دراستها ومدارستها.

خصائص البناء الفني للرواية:

01: بنية الأحداث، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

إن الحدث الروائي هو العمود الفقري الذي تقوم عليه البنية الروائية، وهو مختلف عن الحدث الواقعي، وإن كانت انطلاقته في الأساس من الواقع، لأن الكاتب حين يكتب روايته، فهو يقوم بعملية اختيار للأحداث، بدقة وعناية وبحسب ما يراه مناسبا لروايته، فينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي، ومن خياله الفني، ما يجعل من الحدث الروائي شيئا متميزاً، متفرداً.

وتشكيلة الأحداث عند جبران خليل جبران، نجدها في معظمها عبارة عن أحداث مسترجعة، قائمة في أبسط صورها على وسيلة التذكر، لأن مضمون الرواية في حد ذاته يرصد وعياً وحركة أكثر مما يريد سرد وقائع.

وترتيب الأحداث عموماً، هو ترتيب غير متسلسل، يعنى بإبراز الشخصية، وتزويد القارئ بمعلومات عنها، ..." وفي هذا النوع من الروايات، يحس القارئ بامتلاء المكان امتلاء مبالغا فيه"[10].

وهذا المضمون ما هو إلا سمة من سمات الرواية الجديدة، التي تأخذ الطابع الفكري التأملي، بغض النظر عن نوع هذه الأحداث، سواء كانت اجتماعية، سياسية،

أو اقتصادية،بل تتعدى ذلك لتأخذ طابع الجدل والتنافر مع الواقع، وتعكس اختلافاً واسعاً بينهما، وبين طابع التدوين والتسجيل والتسلسل المنطقي القائم في الرواية التقليدية، وهذا النمط من الكتابة، غير خاضع لنمطية محددة ومعروفة، على نحو الرواية التي تقوم بترتيب الحدث، ترتيباً زمنيا منطقياً لتصل بذلك إلى عمق الحبكة والإشكال، ثم تنتهي إلى نتيجة ما.

وهذه الرواية أجدها قد زخرت بالعديد من الأحداث، التي طغى عليها عنصر الحديث على الحركة، والخيال على الواقع، وكانت محل إثارة وجذب للأنظار واستطاع الكاتب أن بسردها بأسلوب شعري وجداني، مشبع بروح التقديس للحب وكل ما يبعثه في النفس[11]، وهذا العنصر – الحدث– بطبيعته إن صح البعض منه، ورجحت إمكانيات وقوع بعضه، فإن الأكثر منه لا يتفق والواقع الذي عرفناه عن حياة جبران . لقد كان والد "جبران " فقيرا ًمعدما، في بشري[12]، وكان سكيرا قاسيا على عائلته، يعمل في أملاك بعض الإقطاعيين، ولكن جبران يُصرُّ على تقويل فارس كرامة، في بداية الرواية : " أنت ابن صديق حبيب قديم صرفت ربيع العمر برفقته، فما أعظم فرحي بمرآك، وكم أنا مشتاق إلى لقاء أبيك بشخصك."

ومثل هذا يتردد أكثر من مرة في رواية " الأجنحة المتكسرة" وخصوصا على لسان سلمى كرامة عند وداعها الأخير لجبران، حيث تذكر فاقة والد جبران – صديق فارس كرامة– وهو أمر يرجح عدم صحته، إلا أن تكون صداقة لهو وشراب فحسب، لكن الأهم في هاته الصداقة، هو أن صداقة "فراس كرامه" للوالد – والد جبران– جلبت الولد إلى بيته وهناك تعرف على سلمى فتمكن الحب من قلبه وقلبها من اللحظة الأولى وباح كل من الحبيبين بحبه للآخر.

وكما هو معلوم أن السرد الحكائي داخل الرواية، يقوم على حكاية تقترب من ذاتية الشاعر أو حياته، فهي تمثل جزءاً من واقع عاش حوادثه جبران في مرحلة شبابه وتأثر بها، مما يعني أننا نلتصق أيضاً بحيز السيرة الذاتية. فهذه الحكاية والتي تروي قصة سلمى كرامة، فتاة بيروت، ابنة المستقبل التي عاشت كما يصفها جبران قبل زمانها فذهبت ضحية الزمن والحاضر.

سلمى كرامة، المرأة التي طلبها "المطران" لابن أخيه، وقد اختارها زوجة لابن أخيه، لا لجمال وجهها، ولا لنبالة روحها، بل لأنها غنية بأموالها، وستكفل بذلك مستقبل "منصور بيك"، فما كان من الوالد إلا أن أجاب بالإيجاب، من غير أن يستشير ابنته بكلمة، وما كان من الابنة إلا أن أجابت والدها بنعم، من غير أن تأخذ رأي حبيبها في الأمر، فما كان إلا أن حصل هذا الزواج الذي كان شقاء وكان مأساة ملؤها الحسرة والدموع وتبادل الشكوى الشعرية والفلسفية بين الحبيبين الذين راحا يجتمعان خلسة في هيكل مهجور لعشتروت، ثم وفاة ولدها المستسلم استسلاما أعمى لمشيئة "المطران" ومن بعدها قطعت "سلمى" علاقتها مع حبيبها خشية أن يدري الناس بما بينها وبينه فسيلقون بألسنتهم وفضلت أن تضحي بالمحبة المحدودة في سبيل المحبة غير المحدودة وتقلع عن زيارتها السرية للهيكل المهجور.

ولعل أهم حدث درامي في الرواية، حصل "سلمى" حين وضعت غلاما عند الفجر، بعد عقم دام خمسة سنوات، لكنه ما لبث أن قضى نحبه عند شروق الشمس، وما لبث أمه أن التحقت به.

سلمى أماتها جبران في آخر الرواية، حتى يستكمل عناصر المأساة، لكن هو حدث مخالف للقصة في الواقع المعاش من جبران، فمن الثابت أنها تزوجت رجلا غير جبران فعلا، ولكنها لم تمت قبل الكاتب، بل كانت في طليعة الجاثيات حول نعشه، لما نقلت رفاته إلى مقره الأخير في دير مار سركيس قرب بشري[13].

وفي الأخير نخلص إلى أنه بالرغم من والحس التصويري الجبراني، والذي تميز برومانسية حالمة، إلاّ أن ما تفرزه هذه القصة من ألم قلبين اتحدت عليهما قوانين الجشع والطمع الزمني والكهنوتي، يضع الرواية في قالب اجتماعي، على عكس ما عدّه بعض النقاد من خلو القصة من هذا الجانب؛ ذلك لأنها نابعة من حس واقعي أو سيرة ذاتية.

2: بنية الشخصية:

قبل التطرق لمفهوم الشخصية السيميائية نتعرض لمفهومها التوضيحي.

تعد الشخصية محور العمل السردي، " بل هي ما تستميز به هذه الأعمال عن أجناس الأدب الأخراة. وهي التي تكون واسطة العقد بين جميع المكونات السردية الأخراة، حيث أنها "هي من تصطنع اللغة، وهي من تبث وتستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المفاجأة، والتي تصف معظم المناظر التي تستهويها، وهي التي تنجز الحدث وهي التي تعمر المكان وهي تتكيف مع التعامل مع هذا الزمن"[14].

إن الشخصيات الروائية – في الرواية بصفة عامة، وفي هذا النص بصفة خاصة– ما هي إلا امتداد للشخصيات الواقعية، وهذا ما يمكن تسميته بـ" :مبدأ التكافؤ الدلالي المطلق بين العالم النصي والواقع الخارجي"[15].

من حيث بناء الشخوص:

لقد برزت في هذه القصة شخصيتين رئيسيتين أو محوريتان، وهما ""جبران خليل جبران" وهو البطل والراوي، وصديقته "سلمى كرامه"، التي يعتقد الكثيرون أنها هي (حلا الظاهر).

<u>أولا:</u> البطل المحب/ الراوي

شاب محب لسلمى، وكان والده صديقاً لوالدها، ورغم زواجها إلا أنه بقى على حبه مخلصاً وعفيفاً، ومساعداً لها في أبرز مراحل حياتها التأزمية، فكان شاهد للحدث، وراوياً له ومشاركاً فيه.

فهي صورة جبران خليل جبران، الذي تدرجت محبته من شغف فتى في صباح العمر بامرأة حسناء إلى نوع من تلك العبادة الخرساء التي يشعر بها الصبي اليتيم نحو روح أمه الساكنة في الأبدية. والذي تحولت صبابته إلى كآبة عمياء لا ترى غير نفسها، وانقلبت ولعه الذي كان يستدر الدموع من عينيه إلى وله «يستقطر الدم» من قلبه، وغدت أنة الحنين التي كانت تملأ ضلوعه صلاة عميقة تقدمها روحه أمام السماء، مستمدة السعادة لسلمى، والغبطة لبعلها، والطمأنينة لوالدها.

إنها صورة جبران الثائر على مفاسد المجتمع، وعلى استغلال النفوذ من قبل اللصوص والمحتالين، ذوي النفوس المعوجة والأخلاق الفاسدة، صورة الرجل المنعزل عن الناس، ولا رفيق له سوى أحلام تتصاعد بنفسه تارة فتبلغها الكواكب،

وتنخفض بقلبه طورا، فتلحده بجوف الأرض، صورة الكئيب الذي تجد نفسه راحة بالعزلة والانفراد، فتهجر الناس.

تتماها شخصية المحب/ الراوي، في شخصية الكاتب جبران، وذلك للمعرفة التاريخية المسبقة بواقعية الحدث، وكذا تماثل حياته مع حياة الكاتب.

ثانيا: سلمى كرامة؛

لقد كان الروائيون المعاصرين واعين بارتباط رمزية المرأة بالمجتمع من ناحية التاريخية، ودلالتها كرمز ثري موح للتعبير عن الوطن"[16]،

لذلك سعى المؤلف إلى إثراء وتنوع الشخصيات النسوية في رواية الأجنحة المتكسرة، لتميزها بدلالاتها الرمزية وأبعادها التاريخية التراثية، ولعل هذا ما جعل جبران خليل جبران، يضيف العنصر النسوي إلى دور البطولة والمحورية، مع العنصر الذكري، إذ يمكن أن نقول أن المرأة "أكثر تمثيلاً للنوعية، أو كما يراها العقاد "مظهر القوة التي بيدها كل شيء في الوجود وكل شيء في الإنسان" [17]، وهذه الفكرة أو النظرة لم تكن قصرا على جبران فقط، بل نجد أن اغلب الكتاب الروائين في الفترة المعاصرة قد تنبهوا لرمزية المرأة، ومكانتها في المجتمع، والدور الذي يمكن أن تلعبه داخل النص، مقارنة مع الشخصية الرجل.

يقول عنها أحد النقاد: "صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحًا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل ... كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل مجتمعها وتقاليده بجميع عناصرها استقطابًا يبلغ حد الثبات والتكرار، فإذا قلنا طالبة الجامعة، أو المرأة العاملة أو الفلاحة ... على سبيل المثال، فمن السهولة بمكان أن نستجمع في الذهن صفاتها –لا كفرد– وإنما كنموذج يتسم بسمات عامة" [18].

هي فتاة جميلة تعيش في مدينة بيروت وترمز إلى المرأة الشرقية آنذاك، إذ بدأت تعرف جزءاً من المدنية والرقي والتعليم، كما أنها الابنة الوحيدة لرجل ثري، وهي محبة لوالدها طائعة له فقد نشأت يتيمة الأم وهو المربي لها والصديق الذي يقف إلى جانبها، ذهبت ضحية أطماع المطران وابن أخيه فباتت امرأة تعيسة، وأمام

كل ذلك لم يبق لها إلا مجاراة هذا القدر وصولاً للخلاص الروحي، وقد جعل جبران وصفه لشخصية سلمى مطولاً من أجل إبراز هذه الشخصية الجوهرية في روايته، لكنها لم تسلم من عدم التوازن في وصفه لها، هي تارة ضعيفة مستسلمة، وأحياناً مثقفة وواعية وصاحبة رؤية في الحب والحياة، كما جاء وتقديمه لها بعيداً عن بنية الوصف وأشكاله؛ فهو لم يعطي وصفا دقيقا وواضحا لجمالها الحقيقي، وإنما كان وصفها غامضا وشحوبا مرده إلى طغيان الحديث فيه على الحركة، والخيال على الواقع."إن الجمال في وجه سلمى لم يكن منطبقا على المقاييس التي وضعها البشر للجمال بل كان غريبا كالحلم أو الرؤيا أو كفكر علوي لا يقاس ولا يحد ولا ينسخ بريشة المصور ولا يتحسم برخام الحفار"[19].

أما الشخصيات الثانوية، نذكر منها: منصور بك، عمه المطران، وفارس كرامه ...

أولاً: منصور بك

شخصية بارزة بملامحها الجلية، تطل هنا أيضا لتكشف عن رجل هو ابن أخ المطران وهو زوج سلمى، شاب ثري وزوج مستهتر، يسكن منطقة في بيروت.

والزوج كان " من أولائك الرجال الذين يحصلون بغير تعب على كل ما يجعل الحياة هنيئة، ولا يقنعون، بل يطمعون دائما إلى ما ليس لهم، وهكذا يضلون معذبين بمطامعهم إلى نهاية أيامهم". لذلك فهو لما استولى على أموال فارس كرامة، بعدما استلم يد ابنته، " نسيه وهجره، بل صار يطلب حتفه توصلا إلى ما بقي من ثروته.

ثانياً: المطران

ثم تأتي صورة المطران بولس غالب الذي يصب جبران نقمته عليه، ويفجر حقده كله في وجهه، لأنه سبب المأساة وذلك في مقارنة بارعة يكشف كاتبنا فيها عن تسلط الإقطاعين الديني والزمني في عصره.

وقد قدمت لنا الشخصيتان – العم المطران، وإبن الأخ منصور– متشابهتان إلى حد بعيد، فإذا كان "المطران يبلغ أمانيه مستترا بأثوابه البنفسجية، ويشبع

مطامعه محتميا بالصليب الذهبي المعلق على صدره"، فإن منصور بك غالب، ابن أخيه، "يفعل كل ذلك جهارا وعنوة".

وإذا كان المطران يذهب إلى الكنيسة في الصباح، ويصرف ما بقي من النهار منتزعا الأموال من الأرامل واليتامى وبسطاء القلب، فقد كان ابن أخيه يقضي النهار كله متبعا ملذاته، ملاحقا شهواته في تلك الأزقة المظلمة، حيث يختمر الهواء بأنفاس الفساد.

وإذا كان المطران يقف يوم الأحد أمام المذبح، ويعظ المؤمنين بما لا يتعظ به، ويصرف أيام الأسبوع مشتغلا بسياسة البلاد، فإن ابن أخيه يصرف جميع أيامه متاجرا بنفوذ عمه بين طالبي الوظائف ومريدي الوجاهة .

وإذا كان المطران لصا يسير مختبئا بستائر الليل، فإن منصور بك غالب محتال يمشي بشجاعة في نور النهار.

إن في هذه السياط الموجعة التي ينهال بها جبران على ظهور الإقطاعيين الزمنيين والدينيين معا، أصداء لما ردده في فصل سابق عنوانه " بحيرة النار"، إذ يقول""إن رؤساء الدين في الشرق لا يكتفون بما يحصلون عليه أنفسهم من المجد والسؤدد، بل يفعلون كل ما في وسعهم ليجعلوا أنسباءهم في مقدمة الشعب، ومن المستبدين به والمستدرين قواه وأمواله. إن مجد الأمير ينتقل بالإرث إلى ابنه البكر بعد موته. أما مجد الرئيس الديني، فينتقل بالعدوى إلى الإخوة وأبناء الإخوة في حياته. وهكذا يصبح الأسقف المسيحي والإمام المسلم، والكاهن البرهمي كأفاعي البحر التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة، وتمتص دماءها بأفواه عديدة"[20].

ثالثاً: فارس كرامة

إنها هنا صورة تبرز إنسانا غلب على أمره، وهو والد سلمى، رقيق وذو قلب يتسم بالمحبة الوافرة لابنته الوحيدة وهو رغم غنائه وثروته إلا أنه لطيبته يصفه الكاتب من الناس، "القليلين الذين يجيئون هذا العالم ويغادرونه قبل أن يلامسوا بالأذى نفس مخلوق"، وبالتالي فهي شخصية مثالية تتسم بالسلبية أحياناً، إذ ترك

زوج ابنته يتحكم في مصيره ومصير ابنته، كما وصفه الكاتب لحظة مواته قانعاً بما حصل عليه مدة حياته، راضياً بتجربة الموت.

والملاحظ أن صورة الأب هنا كما يراها النقاد قد أخذت بعض التعديل في فكر جبران، فهو رغم ضعفه وقلة حيلته أمام المطران الأمر الذي جعل سلمى تدفع حياتها ثمناً لهذا الضغط، إلا أنه من جانب آخر قد أبعده عن صوره الحانقة للأب، والتي عادة ما يرسمها جبران في كتاباته، فهو عطوف وحنون بل صديق لابنته، وكذلك كان يحنو على الشاب ويطلب منه القدوم له ويعتبره ابنه، وربما يرجع ذلك إلى رغبة جبران الحقيقية لهذا النموذج الذي يعد مقابلاً للصورة السلبية للأب الواقعي.

إن فارس كرامة، كان بمثابة الأب الحنون والزوج الوفي، للمرأة التي ماتت وخلفت له سلمى، قبل بلوغها الثالثة من عمرها، يحتفظ بصورة زوجته، ويقدمها كأنها وصيته الأخيرة إلى ابنته الوحيدة المعذبة، وهو رجل حكمة، يكبر على الموت، فلا يكبر الموت عليه، وإذا به يقول لسلمى، ما قالته أمها يوم ماتت : " إن القلب بعواطفه المتشعبة، يماثل شجرة الأرزة بأغصانها المتفرقة، فإذا ما فقدت شجرة الأرز غصنا قويا، تتألم، ولكنها لا تموت، بل تحول قواها الحيوية إلى الغصن المجاور لينمو ويتعالى ويملأ بفروعه الغضة مكان الغصن المقطوع "، حتى إذا بدأت نفسه المتعبة ترتجف كشعلة السراج أمام الريح، ولمحت عيناه ما وراء الغيوم، وسمع من وراء الغيب نداء زوجته، ودع ابنته وجبران، وداعا حزينا مؤثرا.

الخاتمة:

في خاتمة هذه القراءة، للمكون السردي والفكري لجبران خليل حبران، في روايته الأجنحة المتكسرة، استطعت أن أدرك الميول الفكرية والاجتماعية لدى المؤلف، من خلال مقولاته، التي تبرز وتتجلى عبر فضاء النص والمتن السردي، وقد جاء النص مقدما عبر قناة تواصليه لا تولي اهتماما بالقدر الكافي لشكل السردي للقصة, أو الاهتمام بها من منظور بنية درامية محكمة. لأن الغاية لديه؛ كانت إيصال الرسالة أولا. وجاءت الرواية وفق أسلوب درامي مشبع بالخيال والعاطفة، حيث أن الحب لديه يصل في مرحلة ما إلى درجة الفناء والتفاني للمحبوب وهو الأمر الذي يقودنا إلى

فكرة الإنعتاق من الحياة المادية في الحياة, ووصولاً إلى مرحلة الخلاص الروحي، وهجر الروح للجسد بشكل نفسي وإنعتاقها لكل متطلبات هذا الجسد وميوله، تلك هي خلاصة موقف الرومانسيين من الحياة المأساوية، واعتبار الموت هو الخلاص الوحيد من الواقع والسجن الخانق. فرؤية الشاعر للموت شفاءً وخلاصاً من العذاب، والألم مطَّهر للنفس وموصِّل لها لسبيل الخلاص حيث أن الموت طريق لخلود الروح وانبثاقها في عالم المثالي إذ العدالة، والحب، والخلود الأبدي، وهذا ما عبر عنه من خلال بطلته سلمى، وأبيها فارس كرامة، بل نجدها قد تطورت إلى قناعة للرحيل، وإصرار عليه، من خلال وصايا فارس لأبنته وحبيبها.

هوامش:

[1] محمد يوسف نجم القصة في الأدب العربي الحديث الجامعة الأمريكية دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة الثالثة، 1966، ص145.

[2] نبيل سليمان، الرواية العربية رسوم وقراءات، ص13.

[3] جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، 1912، ص 4.

[4] محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث الجامعة الأمريكية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1966، ص144.

[5] مرجع نفسه، ص، ن .

[6] مرجع نفسه، ص145.

[7] جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة، تحقيق ميخائيل نعيمة، دار مكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأخيرة، الجزء الأول، ص15

[8] المرجع نفسه، ص 19.

[9] ينظر http://www.startimes.com/?t=24178034 مقال بعنوان جبران خليل جبران الأجنحة المتكسرة؛ تاريخ 2010/07/01

[10] فريال سماحة، رسم الشخصية في روايات حنا مينا، دار كنعان للدراسات، دمشق، ط1، 1994، ص 21.

[11] ينظر جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة، تحقيق ميخائيل نعيمة، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، الجزء الأول، ص08.

[12] وقد أشار الدكتور فؤاد افرام البستاني؛ رئيس الجامعة اللبنانية، في محاضرة ألقاها في أيار 1970 في ذكرى جبران، إلى أن جبران من بعلبك، وأن والده كان صاحب محل تجاري فيها ولكن مثل هذا الأمر يحتاج إلى تدقيق وتثبيت تاريخي .

[13] وهذا ما يشير له الشاعر المهجري جورج صيدح في هامش كتابه " أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" – صفحة 246– الطبعة الثالثة 1964

[14] ينظر د. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص135

[15] عبد الرحمن بوعلي، شخصيات النص السردي، مجلة علامات في النقد، ع8 فيفري 1999، ص76.

[16] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ص54.

[17]العقاد، سارة، سلسلة اقرأ، ع108، ص129.

[18] طه وادي، مرجع سابق، ص53.

[19] جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة تحقيق مخائيل نعيمة، دار المكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأخيرة الجزء الثالث، ص24.

[20] جبران خليل جبران، الرواية المصدر، " صفحة 44.

المصادر:

1. جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، 1912.
2. جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة تحقيق مخائيل نعيمة، دار المكتبة الهلال بيروت،

المراجع:

1. جورج صيدح في هامش كتابه " أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" – صفحة 246– الطبعة الثالثة 1964.
2. طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، مصر، ط4، 1998.
3. محمد يوسف نجم القصة في الأدب العربي الحديث الجامعة الأمريكية دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة الثالثة، 1966.

4. عبد الرحمن بوعلي، شخصيات النص السردي، مجلة علامات في النقد، ع8 فيفري 1999.
5. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.
6. العقاد، سارة، سلسلة اقرأ، ع108. دار المعارف لطباعة، مصر، طبعة ثالثة.
7. فريال سماحة، رسم الشخصية في روايات حنا مينا، دار كنعان للدراسات، دمشق، ط1، 1994.
8. نبيل سليمان، الرواية العربية رسوم وقراءات، مركز الحضارة العربية، القاهرة 1999.

مواقع الانترانت:

9. HTTP://WWW.STARTIMES.COM/?T=24178034
10. HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI
11. HTTP://WWW.ALZAHRAA.NET/SUBJECTS/ARABIC
12. HTTP://WEHDA.ALWEHDA.GOV.SY/NODE/405283